٢٠-٢-١٩٩٧

السفير

يومية سياسية عربية

نزيه غضبان مصنّع العود بمقاسات جديدة

التقنيات الغامضة لسلطان الآلات

كثرت الدراسات التاريخية والوصفية في لبنان والعالم العربي لآلة العود منذ وجودها، مرورا بحقبات تطورها، حتى ايامنا هذه. «سلطان الآلات وجالب المسرات» ـ على ما يصفه القدامى. وقد جاء في «تاريخ الكامل» للمبرّد، ان اول صانع عود هو نوح. اما فارمر فيرى ان العرب قد اقتبسوه من «الحيرة». ويذكر بعض المؤرخين ان آلة العود ظهرت عند قدماء المصريين منذ اكثر من ٣٥٠٠ سنة. وثمة قائل ان مخترعه هو «لامك» من ابناء الجيل السادس بعد آدم. والابرز ان «باخ» ترك قطعا خالدة خاصة بالعود.

نزيه غضبان، عازف عود ومصنّع اعواد بمواصفات ومقاسات تريد توحيد حضوره، والمساهمة في انضاج الة تريح الموسيقي وتضيف الى الموسيقى جديدا، اصدر غضبان كتابا تقنيا حول العود، وهو لايزال يصنّعه على طريقته الخاصة.

معه هذا الحوار:

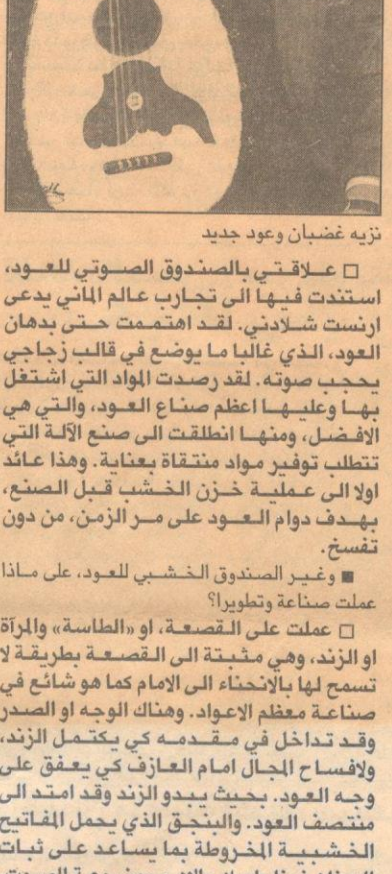

نزيه غضبان وعود جديد

■ كأنك تحاول الاجابة حول افكار تتعلق بالكثير من القلق والتشاؤم المحدقين بمصير آلة العود، حين تعمل على صناعتها من خلال نظرتك الشخصية لها؟

□ **هذا صحيح الى حد ما، فما اخافه دائما، تلك الاسئلة التي تضع آلة الحكماء في طريقها المسدود، بحيث تبدو، وكأنها راوحت امام قيمها الفنية المعروفة، حتى اقفل عليها نهائيا باب التجديد والخلق والابتكار، تطويرا لها، وحفظا لكرامتها.**

■ يفترض هذا تحصيلا علميا محددا، تتخطاه الى الصنعة والتطوير؟

□ **لا شك في ذلك، وقد عملت لتحصيل علوم ثلاثة ضرورية للوصول الى ما اسعى إليه هي: علم الموسيقى، وعلم الصوتية وعلم الجمالية، فمن دونها تنكسر المحاولة. ذلك ان التطوير لا بد ان يجيء كثمرة لتطبيق مبادئ هذه العلوم في آلة العود.**

تميز

■ وما الذي يميز، اختصارا، الاعواد التي تصنعها عن غيرها؟

□ **بحلاوة صوتها، وجمال شكلها ودقة صناعتها.**

■ اصدرت كتابا حاولت فيه توسيع دائرة علاقتك النظرية بالعود؟

□ **كتاب «تكنيك» مزود بالرسوم عن كل مرحلة من مراحل صناعة العود، خوفا عليها من الاندثار.**

■ تفضح سر الصنعة اذا؟

□ **واجعلها في متناول كل من يهوى مزاولتها. فكتابي جليّ واضح، كتبته بقلم انسان ذي خبرة في العلوم الموسيقية. فأنا خريج المعهد الموسيقي في بيروت، ومدرس موسيقى في المدارس الرسمية لاكثر من سنين عشر. كما أحمل اجازة في الفلسفة العربية من الجامعة**

□ **علاقتي بالصندوق الصوتي للعود، استندت فيها الى تجارب عالم الماني يدعى ارنست شلادني. لقد اهتممت حتى بدهان العود، الذي غالبا ما يوضع في قالب زجاجي يحجب صوته. لقد رصدت المواد التي اشتغل بها وعليها اعظم صناع العود، والتي هي الافضل، ومنها انطلقت الى صنع الآلة التي تتطلب توفير مواد منتقاة بعناية. وهذا عائد اولا الى عملية خزن الخشب قبل الصنع، بهدف دوام العود على مر الزمن، من دون تفسخ.**

■ وغير الصندوق الخشبي للعود، على ماذا عملت صناعة وتطويرا؟

□ **عملت على القصعة، او «الطاسة» والمرآة او الزند، وهي مثبتة الى القصعة بطريقة لا تسمح لها بالانحناء الى الامام كما هو شائع في صناعة معظم الاعواد. وهناك الوجه او الصدر وقد تداخل في مقدمه كي يكتمل الزند، ولافساح المجال امام العازف كي يعفق على وجه العود. بحيث يبدو الزند وقد امتد الى منتصف العود. والبنجق الذي يحمل المفاتيح الخشبية المخروطة بما يساعد على ثبات الدوزان زمنا طويلا. والاهم موضوعة الصوت. فصوت عودي هو نتيجة تكامل وانسجام بين اجزائه، نتيجة دراسة طويلة حول المقاسات التي يتأثر بها الصوت.**

اتصال

■ احسب انك على اتصال بأساتذة عود، بهدف الوقوع الدائم على متطلباتهم؟

□ **انهم من أسرار تميز صناعتي. فإذا ما كان التعاون وثيقا، فإنه مستمر مع معظم اساتذة العود بهدف الوقوف على آرائهم في مجال تطور الآلة، وبلوغ الهدف الاسمى، كي تأتي متكاملة خالية من اية عيوب، فتلبي ما يتطلعون اليه في مجال العزف والتأليف.**

■ اعتمدت وثائق خاصة؟

□ تلك الوثائق من اهم عناصر نجاحي،

نزيه غضبان وعود جديد

□ علاقتي بالصندوق الصوتي للعود، استندت فيها الى تجارب عالم الماني يدعى ارنست شلادني. لقد اهتممت حتى بدهان العود، الذي غالبا ما يوضع في قالب زجاجي يحجب صوته. لقد رصدت المواد التي اشتغل بها وعليها اعظم صناع العود، والتي هي الافضل، ومنها انطلقت الى صنع الآلة التي تتطلب توفير مواد منتقاة بعناية. وهذا عائد اولا الى عملية خزن الخشب قبل الصنع، بهدف دوام العود على مر الزمن، من دون تفسخ.

■ وغير الصندوق الخشبي للعود، على ماذا عملت صناعة وتطويرا؟

□ عملت على القصعة، او «الطاسة» والمرآة او الزند، وهي مثبتة الى القصعة بطريقة لا تسمح لها بالانحناء الى الامام كما هو شائع في صناعة معظم الاعواد. وهناك الوجه او الصدر وقد تداخل في مقدمه كي يكتمل الزند، ولافساح المجال امام العازف كي يعفق على وجه العود. بحيث يبدو الزند وقد امتد الى منتصف العود. والبنجق الذي يحمل المفاتيح الخشبية المخروطة بما يساعد على ثبات الدوزان زمنا طويلا. والاهم موضوعة الصوت. فصوت عودي هو نتيجة تكامل وانسجام بين اجزائه، نتيجة دراسة طويلة حول المقاسات التي يتاثر بها الصوت.

اتصال

■ احسب انك على اتصال بأساتذة عود، بهدف الوقوع الدائم على متطلباتهم؟

□ انهم من أسرار تميز صناعتي. فإذا ما كان التعاون وثيقا، فإنه مستمر مع معظم اساتذة العود بهدف الوقوف على آرائهم في مجال تطور الآلة، وبلوغ الهدف الاسمى، كي تأتي متكاملة خالية من اية عيوب، فتلبي ما يتطلعون اليه في مجال العزف والتأليف.

■ اعتمدت وثائق خاصة؟

□ تلك الوثائق من اهم عناصر نجاحي. فهي بمثابة تجربة غنية مكتوبة، تجعل الصانع الجديد مستفيدا من انجازات الصناع القدامى. كما انني احتفظ بأرشيف لكل آلة، ادوّن فيه الملاحظات الخاصة بالعود، والتغيرات التي طرأت عليها، واسم صاحبها، على مدى عشرين عاما من العمل المتواصل الدؤوب.

■ كيف تختار عودا جيدا من بين اعواد عديدة؟

□ يفترض بالجيد ان يتوافر فيه: دقة الصناعة، الجمال الخارجي، الصوت الجميل والصحيح.

■ تقول في كتابك ان العود سلطان الآلات العربية؟

□ انه سلطانها، فهو رفيق زكريا احمد، والقصبجي ومحمد عبد الوهاب والسنباطي وفريد الاطرش وكل رواد الموسيقى العربية. علينا الاهتمام به، واعادة مكانته ودوره الرائد صناعة وعزفا، عوضا عما يلقاه من تقهقر وتراجع في السنوات الاخيرة. اعتقد اننا اذا ما نهضنا بالعود، ساهمنا باستعادة نهضة الموسيقى العربية.

حاورته: عناية جابر

جاء في «تاريخ الحاضر» للفيزيد: ان اول صانع عود هو نوح. أما قارمر فيرى ان العرب قد اقتبسوه من «الحيرة». ويذكر بعض المؤرخين ان آلة العود ظهرت عند قدماء المصريين منذ اكثر من ٣٥٠٠ سنة. وثمة قائل ان مخترعه هو «لامك» من ابناء الجيل السادس بعد آدم. والابرز ان «باخ» ترك قطعا خالدة خاصة بالعود.

نزيه غضبان، عازف عود ومصنّع اعواد بمواصفات ومقاسات تريد توحيد حضوره، والمساهمة في انضاج الة تريح الموسيقي وتضيف الى الموسيقى جديدا، اصدر غضبان كتابا تقنيا حول العود، وهو لايزال يصنّعه على طريقته الخاصة.

معه هذا الحوار:

■ كأنك تحاول الاجابة حول افكار تتعلق بالكثير من القلق والتشاؤم المحدقين بمصير آلة العود، حين تعمل على صناعتها من خلال نظرتك الشخصية لها؟

□ هذا صحيح الى حد ما، فما اخافه دائما، تلك الاسئلة التي تضع آلة الحكماء في طريقها المسدود، بحيث تبدو، وكأنها راوحت امام قيمها الفنية المعروفة، حتى اقفل عليها نهائيا باب التجديد والخلق والابتكار، تطويرا لها، وحفظا لكرامتها.

■ يفترض هذا تحصيلا علميا محددا، تتخطاه الى الصنعة والتطوير؟

□ لا شك في ذلك، وقد عملت لتحصيل علوم ثلاثة ضرورية للوصول الى ما اسعى إليه هي: علم الموسيقى، وعلم الصوتية وعلم الجمالية، فمن دونها تتكسر المحاولة. ذلك ان التطوير لا بد ان يجيء كثمرة لتطبيق مبادئ هذه العلوم في آلة العود.

تميز

■ وما الذي يميز، اختصارا، الاعواد التي تصنعها عن غيرها؟

□ بحلاوة صوتها، وجمال شكلها ودقة صناعتها.

■ اصدرت كتابا حاولت فيه توسيع دائرة علاقتك النظرية بالعود؟

□ كتاب «تكنيك» مزود بالرسوم عن كل مرحلة من مراحل صناعة العود، خوفا عليها من الاندثار.

■ تفضح سر الصنعة اذا؟

□ واجعلها في متناول كل من يهوى مزاولتها. فكتابي جليّ واضح، كتبته بقلم انسان ذي خبرة في العلوم الموسيقية. فأنا خريج المعهد الموسيقي في بيروت، ومدرس موسيقى في المدارس الرسمية لاكثر من سنين عشر. كما أحمل اجازة في الفلسفة العربية من الجامعة اللبنانية.

■ الكتاب يتضمن لا شك، طروحاتك الاساسية في ما يختص برؤيتك في صناعة عود موحد؟

□ انه يحتوي على نداء لتوحيد مقاسات هذه الآلة، وتوحيد العزف عليها بين جميع الاقطار العربية، ومحاولة تطوير هذه الآلة ما امكن. وبذلك اكون قدمت خدمة او اضافة لمكتبتنا العربية، تراكم تراثنا العريق والغني، لكي تحفظ الآلة اجيالنا الصاعدة من الضياع.

■ هناك كتب اخرى في هذا المجال؟

□ انها كتب تطبيقية. وليس ثمة كتب نظرية تتعلق بما تناولته في كتابي، وما اتناوله في ابحاثي. الكتب الموجودة حتى الآن، هي الخاصة بالعزف على آلة العود، بعيدا من تطويره.

توحيد

■ هل الهمتك آلة اخرى، ضرورة توحيد قياسات العود؟

□ الكمان ذو قياس واحد، اينما كان، ولا مجال للعب بقياسه. هذا مثل لفتني.

■ لا بد من مرجع نظري لتجاربك على آلة العود؟